Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إليه القدماء ، أما التفسير النفسى فى ربط انسكاب الماء من عين الشاعر بقصة حقيقية انسكب فيها ماؤه فى الصحراء أو نحو ذلك فلا أظن أنه يصلح تفسيراً نفسياً مقنعاً ، وإلا لكنا فى حاجة إلى قصة أو حدث حقيقى وراء كل مطلع من مطالع الشعر القديم ، وهذا ما لا يستقيم فى التصور ، وما دام غير مستقيم فلن يبقى فى ميزان النقد ، وإنما يبقى أنه انتهى إلى ما انتهى إليه القدماء .

وقد ظهرت فى النصف الأول من الستينيات مجموعة مقالات لعدد من الباحثين ، كانت فى مجموعها من أوضح الأسس التى تمثل هذا الاتجاه الحديث فى الدراسة النفسية لمقدمة القصيدة القديمة ، وهذه المقالات تمثل اتجاهين ، أحدهما يرى أن مقدمات القصائد الجاهلية سواء أكانت غزلاً أم بكاء أطلال أم شكوى زمان ، تمثل نفسية الشاعر بصفة عامة من الناحية الروحية أو الفكرية الدينية ، وقد بدأت هذه المقالات بمقال لسهير القلماوى يتضمن أن الشاعر الجاهلى فى حيرته الدينية وإحساسه بالموت وغرائب الكون وتقلبات الحياة دون أن يهتدى إلى التعليل المقنع لكل ما يحس به إنما يعبر فى مقدماته وشعره عن هذه الحيرة ، وبصفة خاصة عن إحساسه بالفناء دون غاية ينتهى إليها من ثواب أو عقاب أو جنة أو نار لأنه لم يكن قد اهتدى إلى عقيدة تريحه ، فكل المقدمات فى هذا الرأى تعبر عن يأس الجاهلى وقلقه النفسى .

ثم جاء مقال للمستشرق الألمانى (فالتر براونة) وكان قد ألقاه محاضرة فى نادى الثقافة الألمانى بالقاهرة يعتمد أيضاً على أن المقدمات الجاهلية بالذات هى تعبير عن نفسية الشاعر أيضاً كما يرى المقال السابق من الناحية الفلسفية الدينية ، وقد دار حول هذا المقال كلام كثير ، من حيث إنه يهاجم نقد ابن قتيبه السابق مخالفاً إياه ، متجهاً إلى وجهة وجودية يهدف منها إلى إثبات الوجودية فى الجاهلية العربية ، فالشاعر الجاهلى يشعر بواقع الفناء فيرمز بما يتحدث عنه من صور الغزل والأطلال والشكوى إلى هذا الإحساس ، متسائلاً عن مصيره . متخوفاً من نهايته ، ولكن المستشرق يتخذ من هذا قضية عامة فى البشرية ، وليست فى حياة الجاهلى ، قضية الفناء بغير غاية أو نتيجة ينتهى إليها الإنسان بعد الموت فى رأيه)[٢٤] .

ومما يؤسف له أن اتجاه (فالتربراونة) هو الاتجاه الغالب على معظم المستشرقين ، فمع الجهود الكبيرة التى بذلوها فى الدراسات العربية ، ومع الفوائد الضخمة التى أضفوها على مناهج البحث ، وتوجيه الدراسة ، إلا أن معظمهم كان يغلب عليه عدم